

ابو الحسنه علي الحسيني الندوي

نصحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية

الناشر :

المجمع الإسلامي العلمي

ندوة العلماء ص، ب ۱۱۹ الكناؤ (الهند)

من مطبوعات
المجمع الإسلامي العلمي لكتاؤ (الهند)
رقم ٢٧٤

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ ١٩٩٧م

عدد الطبعة ٣٠٠٠

5/=

اهتم بالطبع

محمد غفران الندوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعث رسول الله ﷺ و قد بلغت شقاوة
الانسانية غاية ما وراءها غاية و كانت قضية
الانسانية أعظم من أن يقوم لها افراد متنعمون لا
يتعرضون لخطر و لا لخسارة و لا محنة، لهم النعيم
الحاضر و الغد المضمون، إنما تحتاج هذه القضية إلى
أناس يضحون بإمكانياتهم و مستقبلهم في سبيل
خدمة الانسانية و أداء رسالتهم المقدسة، و
يعرضون نفوسهم و أموالهم و معائشهم و
حظوظهم من الدنيا للخطر و الضياع، و تجاراتهم
و حرفهم و مكاسبهم للتلف و الكساد، و يخيبون
آمال آبائهم و أصدقائهم فيهم، حتى يقولوا
للو احد منهم كما قال قوم صالح ﴿ قالوا يا صالح
قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ﴾^١

^١ سورة هود : ٦٢ .

إنه لا بقاء للإنسانية و لا قيام لدعوة
كريمة بغير هؤلاء المجاهدين، و بشقاء هذه الحفنة
من البشر في الدنيا - كما يعتقد كثير من
معاصريهم - تنعم الإنسانية و تسعد الأمم، و
يتحول تيار العالم من البشر إلى الخير، و من
السعادة أن يشقى أفراد و تنعم أمم، و تضيع
أموال و تكسد تجارات لبعض الأفراد و تنجو
نفوس و أرواح لا يحصيها الا الله من عذاب الله و
من نار جهنم.

علم الله عند بعثة الرسول ﷺ أن الروم و
الفرس و الأمم المتحضرة المتصرفة بزمام العالم
المتمدن لا تستطيع بحكم حياتها المصطنعة المترفة أن
تعرض للخطر و تتحمل المتاعب و المصائب في
سبيل الدعوة و الجهاد و خدمة الإنسانية البائسة،

و لا تستطيع أن تضحى بشئ من دقائق مدنيتهما و
تأنيقاتها في الملبس و المأكل، و أن تتنزل عن
جظوظها و لذاتها و زخارفها فضلا عن حاجاتها،
و أنه لا يوجد فيها أفراد يقوون على قهر
شهواتهم، و الحد من طموحهم، و الزهد في
فضول الحياة و مطامع الدنيا، و القناعة بالكفاف،
فاختار لرسالة الإسلام و صحبة الرسول عليه
الصلاة و السلام أمة تضطلع بأعباء الدعوة و
الجهاد و تقوى على التضحية و الايثار، تلك هي
الأمة العربية القوية السليمة التي لم تبتلعها المدنية و
لم ينخرها البذخ و الترف، و أولئك أصحاب محمد
ﷺ أبر الناس قلوباً و أعمقهم علماً و أقلهم تكلفاً.
قام الرسول بهذه الدعوة العظيمة فأدى
حقوقها : من الجهاد في سبيلها و إيثارها على كل

ما يقف في وجهها، و العزوف عن الشهوات و
مطامع الدنيا، فكان في ذلك أسوة و إماماً للعالم
كله، كلمه و فد قريش و عرض عليه كل ما يغري
الشباب و يرضى الطامحين من رئاسة و شرف و
مال عظيم و زواج كريم، فرفض كل ذلك في
صرامة و صراحة، و كلمه عمه و حاول أن يحد
من نشاطه بي سبيل الدعوة فقال : "يا عم! و الله
لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في يساري
على أن أترك هذا الأمر حتى يظره الله أو أهلك
فيه ما تركته" ثم كان أسوة للناس في عصره و بعد
عصره بقيامه بأكبر قسط من الجهاد و الايثار، و
الزهد و شظف العيش و أقل قسط من العيش و
أسباب الحياة، فقد أوصد على نفسه الأبواب، و
سد في وجهه الطرق و تعدى ذلك إلى أسرته و

أهل بيته و المتصلين به، فكان أكثر الناس اتصالاً به
و أقربهم إليه و أقلهم حظاً في الحياة، و أعظمهم
نحسباً في الجهاد و الايثار، فاذا أراد أن يحرم شيئاً
بدا ذلك بعشيرته و بيته، و إذا سن حقاً أو فتح
باباً لمنفعته، قدم الآخرين و ربما حرمه على عشيرته
الأقربين، أراد أن يحرم الربا فبدأ بربا عمه عباس
بن عبد المطلب فوضعه كله، و أراد أن يهدر دماء
الجاهلية فبدأ بدم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب
فأبطله، و سن الزكاة و هي منفعة مالية عظيمة
مستمرة إلى يوم القيامة فحرمها على عشيرته بني
هاشم إلى آخر الأبد، و كلمه علي بن أبي طالب
يوم الفتح أن يجمع لبني هاشم الحجابة مع السقاية
فأبى، و طلب عثمان بن طلحة و ناوله مفتاح
الكعبة و قال : هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم

بر و وفاء، و قال خذوها خالدة تالدة فيكم لا
ينزعها منكم الا ظالم، و حمل أزواجه على الزهد و
القناعة و شظف العيش، و خيرهن بين عشرتهن
مع الفقر و ضيق العيش، و مفارقتة مع السعة و
الرخاء، و تلا عليهن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعِكُنَّ وَأَسْرَحْنَ سَرَاحًا جَمِيلًا، وَ إِنْ
كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ
أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^١ فاخترن
الله و الرسول، و تأنيه فاطمة تشكو اليه ما تلقي
في يدها من الرحي و بلغها أنه جاءه رقيق فيوصيها
بالتسبيح و التحميد و التكبير، و يقول لها إنه خير
لها من خادم، و هكذا كان شأنه مع أهل بيته و

^١ سورة الأحزاب : ٢٨ - ٢٩ .

المتصلين به فالأقرب ثم الأقرب .

و آمن به رجال من قريش في مكة
فاضطربت حياتهم الاقتصادية اضطراباً عظيماً و
كسدت تجارتهم و حرم بعضهم رأس ماله الذي
جمعه في حياته، و حرم بعضهم أسباب الترف و
الرخاء و أناقة اللباس التي كان فيها مضرب المثل،
و كسدت تجارة بعضهم لاشتغاله بالدعوة و
انصراف الزبائن عنه و حرم بعضهم نصيبه في ثروة
أبيه.

ثم لما هاجر الرسول إلى المدينة و تبعه
الأنصار تأثرت بذلك بساتينهم و مزارعهم، فلما
أرادوا أن يقبلوا عليها بعض الوقت و يصلحوها لم
يسمح لهم بذلك و أنذرهم الله به فقال : ﴿و
أنفقوا في سبيل الله و لا تلقوا بأيديكم إلى

التهلكة ﴿١﴾

وهكذا كان شأن العرب و الذين احتضنوا هذه الدعوة منهم، فقد كان نصيبهم من متاعب الجهاد و خسائر النفوس و الأموال أعظم من نصيب أي أمة في العالم، و قد خاطبهم الله بقوله : ﴿ قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها أحب إليكم من الله و رسوله و جهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره و الله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ ^٢ و قال : ﴿ ما كان لأهل المدينة و من حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن

^١ سورة البقرة : ١٩٥ .

^٢ سورة التوبة : ٢٤ .

رسول الله و لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﴿١﴾ لأن
السعادة البشرية إنما كانت تتوقف على ما يقدمونه
من تضحية و إيثار ما يتحملون من خسائر و
نكبات فقال : ﴿٢﴾ و لنبلونكم بشئ من الخوف و
الجوع و نقص من الأموال و الأنفس و
الثمرات ﴿٣﴾ و قال : ﴿٤﴾ أحسب الناس أن يتركوا
أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون ﴿٥﴾ ؟ و كان إحجام
العرب عن هذه المكرمة و ترددهم في ذلك امتداداً
لشقاء الانسانية و استمراراً للأوضاع السيئة في
العالم فقال : ﴿٦﴾ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض و

١ سورة التوبة : ١٢٠ .

٢ سورة البقرة : ١٥٥ .

٣ سورة عنكبوت : ٢ .

فساد كبير ﴿١﴾

و قد وقف العالم في القرن السادس
المسيحي على مفترق الطرق إما أن يتقدم العرب و
يعرضوا نفوسهم و أموالهم و أولادهم و كل ما
يعز عليهم للخطر و يزهدوا في مطامع الدنيا و
نضحوا في سبيل المصلحة الاجتماعية بأنانيتهم
فيسعد العالم و تسقيم البشرية و تقوم سوق الجنة و
تروج بضاعة الايمان، و إما أن يؤثروا شهواتهم و
مطامعهم و حظوظهم الفردية على سعادة البشرية
و صلاح العالم، فيبقى العالم في حمأ الضلالة و
الشقاء إلى ما شاء الله، و قد أراد الله بالانسانية
خيراً و تشجع العرب - بما نفخ فيهم محمد ﷺ من
روح الايمان و الايثار و حب اليهم الدار الآخرة

^١ سورة الأنفال : ٧٣

و ثوابها - فقدموا أنفسهم فداء للإنسانية كلها و
زهدوا في مطامع الدنيا طمعاً في ثواب الله و
سعادة النوع الانساني و جاهدوا بأموالهم و
أنفسهم في سبيل الله، و ضحوا بكل ما يحرص عليه
الناس من مطامع و شهوات و آمال و أحلام و
أخلصوا لله العمل و الجهاد ﴿فآتاهم الله ثواب
الدنيا و حسن ثواب الآخرة و الله يحب
المحسنين﴾^١ .

و قد استدار الزمان كهيئة يوم بعث
الرسول و وقف العالم على مفترق الطرق مرة ثانية
إما أن يتقدم العرب - و هم أمة الرسول و
عشيرته - إلى الميدان و يغامروا بنفوسهم و
إمكانياتهم و مطامعهم و يخاطروا فيها هم فيه من

^١ آل عمران : ١٤٨

رخاء و ثراء و دنيا واسعة و فرص متاحة للعيش و أسباب ميسورة فينهض العالم من عثارة و تتبدل الأرض غير الأرض، و إما أن يستمروا فيما هم فيه من طمع و طموح، و تنافس في الوظائف و المرتبات و تفكر في كثرة الدخل و الايراد و زيادة غلة الأملاك و ربح التجارات و الحصول على أسباب الترف و التنعيم، فيبقى العالم في هذا المستقع الذي يتردى فيه منذ قرون.

إن العالم لا يسعد و خيرة الشباب في العواصم العربية عاكفون على شهواتهم تدور حياتهم حول المادة و المعدة لا يفكرون في غيرهما و لا يترفعون عن الجهاد في سبيلهما، و لقد كان شباب بعض الأمم الجاهلية الذين ضحوا بمستقبلهم في سبيل المبادئ التي اعتنقوها أكبر منهم نفساً، و أوسع منهم، بل كان الشاعر الجاهلي "امرؤ

القيس " أعلى منهم همة، إذ قال :

و لو أنني أسعى لأدنى معيشة

كفاني و لم أطلب قليلا من المال

و لكنما أسعى لمجد مؤثر

و قد يدرك المجد المؤثر أمثالي

إن العالم لا يمكن أن يصل إلى السعادة إلا

على قنطرة من جهاد و متاعب يقدمها الشباب

المسلم، إن الأرض لفي حاجة إلى سماء، و سماء

أرض البشرية الذي تصلح به و تنبت زرع

الإسلام الكريم هي الشهوات و المطامع الفردية

التي يضحي بها الشباب العربي في سبيل علو

الإسلام و بسط الأمن و السلام على العالم و

انتقال الناس من الطريق المؤدية إلى جهنم إلى

الطريق المؤدية إلى الجنة.

إنه لثمن قليل جداً لسلعة غالية جداً.